الفصل الرابع
وسطيـــــة الإسلام

أولاً: موضوع الكتاب:

قال الشيخ: وفي هذا الكتاب بيان لمنهج الوسطية في الإسلام، الذي يتسم بالتوازن والاعتدال، دون غلو أو تشدد، ودون تهاون أو تقصير، وبحيث لا يطغى جانب على آخر.

ثانيًا:الغرض من الكتاب:

قال الشيخ: ولست أريد بالوسطية ما يتبادر إلى بعض الأذهان من أن يكون الإنسان في درجة متوسطة فلا يصل في عبادته أو عمله إلى الدرجة العالية، بل أقصد بالوسطية الطريقة المعتدلة التي تدل على الاعتدال والخيرية، كما في قول الله، تعالى:{**قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ**} (القلم: ٢٨). أي: قال أعدلهم وأصلحهم. وواضح أن المجتمعات البشرية فيها المغالون وفيها المفرطون، أما المعتدلون فهم الذين لا يهملون ولا يقصرون ولا يغالون.

ثالثًا: حجم الكتاب:

هو كتاب من القطع المتوسط، في غلاف يقع في مائة وإحدى وخمسين ورقة، وقد طبع طبعتين الأولى: طبعة دار الرشاد ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م، والطبعة الثانية: في نفس الدار ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.

رابعًا: منهجه في الكتاب:

يستهل الشيخ شرحه بإعطاء مضمون ومفهوم أي عنصر ثم يدلل على ذلك بالقرآن الكريم ثم يثني بالسنة النبوية المطهرة.

يذكر مضمون الحديث وخلاصة معناه مع ربطه بالواقع المعاصر؛ لأن هذا هو الغرض من تأليف الكتاب دون أن يتعرض لتفصيلات شرح الحديث.

يخرج الشيخ الآيات القرآنية في الهامش فيذكر اسم السورة ورقم الآية.

يخرج الشيخ الأحاديث النبوية في الهامش فيذكر اسم مخرج الحديث فقط فيقول: رواه البخاري بدون ذكر الجزء والصفحة.

يذكر الشيخ راوي الحديث الأعلى فقط في بعض الأحاديث فيقول: عن النعمان بن بشير ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: ثم يذكر متن الحديث.

وأحيانًا يذكر الشيخ مخرج الحديث قبل الحديث فيقول كما في صـ ٩: وفيما رواه الإمام أحمد بسنده عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال، قال رسول الله ﷺ.

عرف الشيخ الوسطية، ثم ذكر بعد ذلك ما يندرج تحت الوسطية، فقال: وسطية الزمان، ثم قال وسطية العقيدة، ثم قال وسطية العبادة، ثم قال وسطية الأخلاق، ثم ذكر الاعتدال بين المادية والروحانية كلون من ألوان الوسطية، ثم رد الشيخ على بعض الشبهات، ثم بين الشيخ أن الوسطية من أبرز سمات المجتمع الإسلامي الفاضل، ثم قدم نماذج من سمات المجتمع الإسلامي الفاضل الذي وصلت به الوسطية إلى جوانبه المثالية.

ثم فهرس الشيخ للكتاب بطريقة جميلة فبدأ بفهرس الآيات القرآنية، ثم بفهرس الأحاديث النبوية، ثم بفهرس الآثار، ثم بفهرس الأعلام وقسمه إلى قسمين؛ فهرس أعلام الأشخاص وفهرس الأعلام الجغرافية، وكل هذه الفهارس مرتبة على حروف الهجاء.

ختم الكتاب بفهرس المحتويات.

بين يدي الكتاب:

أسوق بعض النماذج من كتاب الشيخ (وسطية الإسلام):

النموذج الأول

بيانه لمفهوم الوسطية

قال الشيخ: يتحدد مفهوم الوسطية ببيان معناها اللغوي، ومعناها الاصطلاحي، فأما المعنى اللغوي، فوسط الشيء هو ما بين طرفيه. وأما المعنى الاصطلاحي، فالمراد بالوسطية: التوازن والتعادل بين الطرفين بحيث لا يطغى طرف على آخر، فلا إفراط ولا تفريط ولا غلو ولا تقصير، وإنما اتباع للأفضل والأعدل والأجود والأكمل.

ثم بين الشيخ بعد التعريف الوسطية المرادة، فقال: لا نريد بالوسطية أن يكون الإنسان في درجة المتوسط في عبادته أو عمله أو سلوكه، ولا أن يكون متوسط العلم أو العمل أو السعي أو الخُلق بمعنى أنه لا يكون متقدمًا ممتازًا في هذه الأمور، بل نريد بالوسطية الأجود والأفضل والأكمل والأعدل، وخير الأمور أوسطها أي أعدلها. قال الله تعالى: {**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا**} (البقرة: ١٤٣) أي: عدولاً خيارًا. وقال تعالى: {**فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا**} (العاديات: ٥) أي: تتوسط الصفوف في المعركة. وقال سبحانه: {**مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ**} (المائدة: ٨٩). وقال جل شأنه: {**قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ**} (القلم: ٢٨) أي: قال أعدلهم وأصلحهم. وقال سبحانه: {**حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى**} (البقرة: ٢٣٨)، وأرجح الآراء أنها صلاة العصر؛ لقوله ﷺ في يوم الأحزاب: "شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ـ ملأ الله قلوبهم وبيوتهم نارا"[(١)].

وسطية الأمة: لقد وصف القرآن الكريم الأمة الإسلامية بأنها الأمة الوسط، قال الله تعالى: {**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ**

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد، باب الدعاء على المشركين بالهزيمة، جـ٤، صـ ٤٣، حـ٢٩٣١.

عَلَيْكُمْ شَهِيدًا} (البقرة: ١٤٣). والوسط: الخيار والأجود، ولما أنعم الله على هذه الأمة بنعمة الوسطية فكانت خير الأمم، خصها سبحانه وتعالى بأكمل الشرائع وأوضح المناهج وأيسر التكاليف وأوضحها، كما قال سبحانه: {**هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ**} (الحج: ٧٨)، وفيما رواه الإمام أحمد بسنده عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "يدعى نوح يوم القيامة فيقال له: هل بلغت؟ فيقول: نعم، فيدعى قومه فيقال لهم: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير وما أتانا من أحد، فيقال لنوح: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته، قال: فذلك قوله: وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا، قال: والوسط: العدل، فتدعون فتشهدون له بالبلاغ ثم أشهد عليكم"[(١)].

وفيما رواه الإمام أحمد بسنده عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "يجيء النبي يوم القيامة ومعه الرجلان وأكثر من ذلك فيُدعَى قومُه، فيقال: هل بلغكم هذا؟ فيقولون: لا، فيقال له: هل بلغت قومك؟ فيقول: نعم، فيقال: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته، فيدعى محمد وأمته، فيقال لهم: هل بلغ هذا قومه؟ فيقولون: نعم، فيقال: وما علمكم؟ فيقولون: جاءنا نبينا فأخبرنا أن الرسل قد بلغوا، فذلك قوله عز وجل: {**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا**}".

ثم بيّن الشيخ ما تشير إليه الآية الكريمة من أن الله حين حول القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة قبلة سيدنا إبراهيم إنما اختار لهم ذلك ليجعلهم خيار الأمم، ليكونوا شهداء على الأمم يوم القيامة؛ لأن الجميع معترفون لهذه الأمة بالفضل، ودلل على ذلك بحديث البراء ﷺ أن رسول الله ﷺ صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهرًا أو سبعة عشر شهرًا، وكان يعجبه أن تكون قبلته قِبَل البيت، وأنه صلى أول صلاة صلاها صلاة

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى (انا أرسلنا نوحا إلى قومهم)، جـ٤، صـ ١٣٤، حـ٣٣٣٩.

العصر صلى معه قوم، فخرج رجل ممن كان صلى معه فمر على أهل المسجد وهم راكعون فقال: أشهد بالله لقد صليت مع النبي ﷺ قِبَل مكة فداروا كما هم قِبَل البيت، وكان الذي قد مات على القبلة قبل أن تحول قِبَل البيت رجالاً قتلوا لم ندر ما نقول فيهم فأنزل الله: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ} (البقرة: ١٤٣)[١].

ثم بين الشيخ أن الكعبة المشرفة- التي هي قبلة المسلمين- هي في البقعة المباركة والمكان الوسط، فهي في وسط كوكب الأرض، تتوسط دنيا الناس شرقًا وغربًا وشمالاً وجنوبًا[٢].

ولذلك قال الشيخ: وهكذا اختار الله مكان رسالته، وموقع قبلة الصلاة، ومهبط الوحي، هذا المكان الوسط، الذي يتسق مع وسطية الدعوة السمحة ويتناسب مع الرسالة العامة الخالدة لترسل أشعة النور والهداية إلى من حولها من جميع بقاع العالم.

وهكذا اقتضت الحكمة الربانية أن يكون المكان وسطًا في جغرافيا الأرض لتتمكن الدعوة من الانتشار في ربوع الأرض، وتؤدي أمة الإسلام أمانة التبليغ التي حملها الله- تعالى- إياها حيث نزل الوحي قرآنًا وسنة بلسان عربي مبين، وفي أمة عربية، وفي مكان وسط من العالم، كل هذا يؤكد وجوب تبليغ الأمانة التي كلف الله تعالى هذه الأمة بها، وشرفها بإنزال الوحي على أرضها، وإرسال رسول من أنفسهم، وقيام القبلة الكعبة المشرفة في هذا المكان الطاهر والحرم الآمن في قلب العالم.

يقول الشيخ: وهكذا تتكشف حقيقة نزول الوحي الإلهي في البلد الحرام والقبلة المشرفة داخل المسجد الحرام، فمكة هي مركز الكرة الأرضية ووسط العالم بأسره، وأن

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الصلاة من الإيمان، جـ١، صـ ١٧، حـ٤٠.

(٢) انظر: وسطية الإسلام للشيخ (١٠-١٢).

قوله، تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ} يحدد لهذه الأمة دورها في النهوض بالبشرية ورسالتها في قيادة القافلة الإنسانية، فبذلك تتبوأ مكانتها كخير أمة أخرجت للناس، شاء الله لها أن تكون أمينة على رسالة السماء وشاهدة على الناس.

ثم وجه الشيخ خطابًا وتوجيهًا للأمة ألا تتخلى عن هذه الرسالة، وألا تتخلى عن واجبها من النصح والتوجيه والجهاد في سبيل الله حق جهاده؛ لأن الله اختارها واصطفاها على سائر الأمم، وكلفها بشريعة لا حرج فيها ولا مشقة ولا ضيق ولا عسر، إنها الحنيفية السمحة ملة إبراهيم – عليه السلام- وقد سماهم الله المسلمين- من قبل- في الكتب المتقدمة، وفي هذا أي القرآن، قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٧٧) وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ} (الحج: ٧٧، ٧٨).

وفي مقابل هذه المنزلة التي بوأها الله– تعالى- لهذه الأمة، وفي مقابل النعمة على الأمة التي تقوم بشكر ربها– سبحانه وتعالى- وما أوجبه الله عليه من عبادة وطاعة ومن أهمها الصلاة والزكاة، وعليهم أن يعتصموا بالله هو مولاكم وفنعم المولى ونعم النصير.

هكذا ألقى الشيخ الضوء على مفهوم الوسطية بأسلوب معاصر يتناسب مع المتخصص وغير المتخصص[1].

(١) انظر (١٢-١٤) من وسطية الإسلام للشيخ.

النموذج الثاني

الوسطية في العبادة

الوسطية هي السمة المميزة للأمة كما نطق القرآن والسنة النبوية المطهرة بذلك، فبين الشيخ أن الإسلام وسط في كل شيء، في أخلاقه وعباداته ومعاملاته، فهو دين عالمي يدعو أتباعه إلى عقيدة سمحة وعبادة ميسرة ومعاملات وأحكام وأخلاق لا حرج فيها ولا مشقة، ودعا إلى التيسير وعدم التعسير، وإلى الرفق وعدم الحرج، فالرحمة جوهر رسالته، والوسطية عنوان دعوته، وهي تعني الاعتدال في الأمور كلها دون إفراط أو تفريط. وفي هذا النموذج الذي أسوقه في كتاب الشيخ ما يدل على ذلك.

الوسطية في العبادة:

قال الشيخ: من العبادات التي تتجلى فيها الوسطية: الصلاة، فليست كثيرة شاقة، ولا قليلة لا تترك أثرا، بل هي خمس صلوات في اليوم والليلة، ولا تعارض بين أدائها وبين العمل في الحياة والسعي على الرزق، فالمسلم يعمل ويكدح ويسعى فإن نودي بالصلاة أجاب ثم يعود إلى عمله. وهكذا فهو يعمل لدنياه وآخرته.

ثم دلل الشيخ على ذلك بسورة الجمعة، فقال: وفي يوم الجمعة يقول الله تعالى: {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٩) فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**} (الجمعة: ٩،١٠).

ثم بين أن الصلاة لا تستغرق مساحة كبيرة من اليوم، وإنما حددها رب العزة- سبحانه- في مواقيت معينة دون إفراط ولا تفريط، ولا مشقة في أدائها ولا حرج: قال الله تعالى: {**لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا**} (البقرة: ٢٨٦)، وقال أيضا: {**فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ**} (التغابن: ١٦).

وفي أداء الصلاة والقراءة فيها لا يجهر بها العبد ولا يخافت، كما قال الله تعالى: {وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً} (الإسراء: ١١٠).

وألا يؤدي صلاته بسرعة دون طمأنينة، ولا يطيل بالمصلين إطالة تشق عليهم إذا كان إماما، بل عليه أن يؤدي صلاته بكامل أركانها مطمئنًا بها خاشعًا لله وألا يطيل بالناس، وعندما أطال معاذ في صلاته وشكا منه بعض المسلمين، قال له الرسول ﷺ "أفتّان أنت"[1] قالها ثلاث مرات، ثم قال: "فلولا صليت بسبح اسم ربك الأعلى، والشمس وضحاها، والليل إذا يغشى؛ فإنه يصلي وراءك الكبير والضعيف وذو الحاجة".

وقد وجه الرسول ﷺ بعض الذين أرادوا أن يشددوا على أنفسهم بعد أن سمعوا موعظته ووجههم إلى الوسطية وعدم المغالاة، فعن أنس ﷺ أن نفرًا من أصحاب النبي ﷺ سألوا أزواج النبي ﷺ عن عمله في السر، فقال بعضهم: لا أتزوج النساء، وقال بعضهم : لا آكل اللحم، وقال بعضهم: لا أنام على فراش، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه، فقال: "ما بال أقوام قالوا كذا وكذا! لكني أصلي وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني"[2].

ثم قال الشيخ وقد أمرنا الله أن نقتدي برسول الله ﷺ حيث قال: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا} (الأحزاب: ٢١).

والنبي ﷺ هو الأسوة يحث على الوسطية نهى عن المغالاة، والتشدد، فعن ابن

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب من شكا إمامه إذا طول، جـ١، صـ ١٤٢، حـ ٧٠٥.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، جـ٧، صـ ٢، خـ٥٠٦٣.

مسعود ﷺ أن النبي ﷺ قال: "هلك المتنطعون! هلك المتنطعون!"[1]. وهم المتعمقون الذين يتشددون في غير مواضع التشدد، إن رحمة الإنسان بنفسه لها أهميتها وأثرها حتى ولو كان ما يأتيه الإنسان عملاً من أعمال العبادة فالإسلام يدعو الإنسان إلى إعطاء جسده قسطًا من الراحة ليستطيع القيام بأعماله وعبادته.

عن أبي ربعي حنظلة بن الربيع أحد كتاب رسول الله ﷺ قال: لقيني أبو بكر ﷺ فقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قلت: نافق حنظلة، قال: سبحان الله! ما تقول؟! قلت: نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا بالجنة والنار كأنا رأي عين، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات [أي: مارسنا ولاعبنا] نسينا كثيرًا قال أبو بكر فوالله إنا لنلقى مثل هذا، فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ، فقلت: نافق حنظلة يا رسول الله! فقال رسول الله ﷺ: "وما ذاك" قلت: يا رسول الله، نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة كأنا رأي عين، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيرًا، فقال رسول الله ﷺ: "والذي نفسي بيده لو تدومون على ما تكونون عليه عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فُرُشِكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة، ساعة وساعة، ساعة وساعة"[2].

تلك هي رحمة الإسلام شرعها الإسلام وجعل تعاليمه تنادي إلها وتحرص عليها.

يقول الشيخ: وكما نلاحظ الوسطية في الصلاة نلاحظها أيضا في الزكاة، فلم تفرض في كل وقت، ولكن {**وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ**} (الأنعام: ١٤١)، وعند بلوغ النصاب. وفي النقدين بعد مرور الحول، وإذا كان الجهد المبذول أكثر كان ما يدفع أقل، وإذا كان الجهد أقل كان ما يدفع أكثر، وفيما سقي من الزروع والثمار بماء السماء أو بدون آلة أو تعب

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب هلك المتنطعون، جـ٤، صـ ٢٠٥، حـ ٢٦٧.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب فضل دوام الذكر، جـ٤، صـ ٢١٦، حـ ٢٧٥٠.

ففيه العُشر وما كان بتعب أو آلة ففيه نصف العشر، وما كان فيه تعب وجهد أكثر ففيه ربع العشر، كزكاة النقدين وعروض التجارة، وما جاء بلا تعب كالرِّكاز ففيه الخُمس.

ثم انتقل الشيخ من الزكاة إلى الصيام فقال: وإذا نظرنا إلى الصيام وجدنا أنه يُرخص بالفطر للمريض والمسافر والحامل والمرضع وعليهم القضاء بعد ذلك، ثم إلى الحج فقال: وأما الحج فإنما يجب مرة واحدة في العمر كله، وليس يكون إلا على المستطيع. وقال: وهكذا نرى أن العبادات لا مشقة فيها ولا حرج، قال الله تعالى: {**يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ**} (البقرة: ١٨٥)، وقال سبحانه: {**وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ**} (الحج: ٧٨)، وقال أيضًا: {**لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ**} (البقرة: ٢٨٦).

هكذا ألقى الشيخ الضوء على الوسطية في العبادات وذكر نماذج منها، فالوسطية تتجلى في كل ديننا وهي روح الإسلام وعنوان دعوته وهي تعني الاعتدال في الأمور كلها دون إفراط ولا تفريط.

النموذج الثالث

الاعتدال بين المادية والروحانية

الإسلام دين من مميزاته أنه وسط بين المادية والروحانية، ففي كل إنسان جانبان: أحدهما مادي يتطلب الطعام والشراب والملبس والمسكن والزواج وما إلى ذلك مما جرت عليه سنة الحياة. والجانب الآخر: روحي يتطلب صقل النفس وتهذيب الروح.

والاتجاه إلى الله يهذب النفس وينقيها ويصل بها إلى مرتبة التقوى كما قال الله سبحانه: {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**} (البقرة: ١٨٣)، ومن هنا كان نداء الإسلام معتدلاً وقائمًا على أساس تنظيم العلاقة بين البدن والروح فلا رهبانية في الإسلام ولا عسر ولا حرج ولكنها

التشريعات الصحيحة التي أبطلت ما كان عليه بعضهم من رهبانية وما حاوله بعضهم من عزل الدين عن الحياة، وإذا عزل الدين عن الحياة ضلت النفس طريقها وتخبطت في الشكوك والأوهام، وقد وضح الشيخ هذا المعنى فقال: فالدين بمبادئه ونظمه، بتعاليمه وقيمه يضيء للحياة طريقها ويبعث في جوانبها التفاؤل والأمل ويجعلها موصولة بالخير الدائم الذي لا ينقطع وبالفعل المستمر الذي لا يتوقف.

وعن تلك الرهبانية التي لم يرعها أهلها تحدث القرآن الكريم فقال الله تعالى: **{ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ}** (الحديد: ٢٧).

وفي السنة الشريفة تحذير من تلك الرهبانية وترغيب في إعطاء الجسم حقه من الراحة وطيبات الحياة، عن أنس ﷺ أن نفرًا من أصحاب النبي ﷺ سألوا أزواج النبي ﷺ عن عمله في السر، فقال بعضهم: لا أتزوج النساء، وقال بعضهم : لا آكل اللحم، وقال بعضهم: لا أنام على فراش، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه، فقال: "ما بال أقوام قالوا كذا وكذا! لكني أصلي وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني"[1]، وقال الله تعالى: **{وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ}** (القصص: ٧٧).

وقد وجه القرآن الكريم أنظار المسلمين وقلوبهم إلى حقيقة هذه الحياة الدنيا وأنها لعب ولهو زينة، والناس فيها متفاخرون ومتكاثرون، ولكن نهايتها إلى زوال وآخرتها إلى فناء ، فلا بقاء لها ولا خلود فيها، وكل ما عليه عرض زائل، فليس للإنسان أن يتكالب عليها أو أن يتزاحم على حطامها ويتقاتل على بريقها، وإنما اللائق بالإنسان أن

(١) سبق تخريجه في ص ٣٤٨.

يكبح جماح نفسه فيعمل لآخرته وليس معنى هذا أن يهجر دنياه أو أن يتركها ويهملها، لا، وإنما يوفق بين دار العمل والتكليف، وبين ما تتطلبه دار الجزاء الدار الأخرى التي هي خير وأبقى، يقول الله تعالى: {**اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ**} (الحديد: ٢٠) وحين يقصر الناس اتجاههم في الحياة على طلب المال والولد والمنصب فإنهم حينئذ يتجهون اتجاهًا ماديًا بحتًا، والإسلام لا يحرم التمتع بالطيبات وينادي بعمارة الحياة بالمال والولد لكن بشرط أن تكون قائمة على أساس من الفضائل والمثل التي نادى بها الإسلام فهو ينادي بأن تشرق بالإيثار والبذل، بالتضحية والإخلاص، بالتعاون والتساند على البر والتقوى، قال الله تعالى: {**الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً**} (الكهف: ٤٦)، وبين الله سبحانه أنه لم يحرم زينة الله التي أخرجها لعباده ولا الطيبات من الرزق، فقال جل شأنه: {**قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ**} (الأعراف: ٣٢)، ثم قال الشيخ: وأما محاربة الإسلام للمادية الطاغية البحتة فذلك لأنها نأت عن القيم الرفيعة والآداب العالية والمثل الحية، وأصبح هؤلاء الماديون المغالون يمثلون نشاطًا جامدًا خاليًا من الروح والمعنى، بعيدًا عن المبادئ السامية بل حربًا على المعاني الإنسانية والفضائل الكريمة.

إن هؤلاء الماديين قد ضل سعيهم في الحياة الدنيا ويزعمون أنهم يفعلون فعلاً حسنًا، ويقومون بإصلاح الحياة، فقد انطبق عليهم قول الله تعالى: {**الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا**} (الكهف: ١٠٤)، وأما السائرون على منهج

الإسلام في اعتداله بين الطرفين دون إفراط أو تفريط ومن غير غلو أو تقصير فإن الله- سبحانه وتعالى- يزيدهم هدى على هداهم ، قال سبحانه: {وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا} (مريم: ٧٦) تلك حقيقة قرآنية لا يرتاب فيها امرؤ معه عقله، فالمهتدون السائرون على الحياة الذين يزيدهم الله هدى وبهم يشرق المجتمع الإسلامي بالمعاني النبيلة الفاضلة والذين لا تجذبهم الحياة الدنيا ولا تغريهم بزخارفها هم الذين فطنوا لدورهم في الحياة ومهمتهم السامية في المجتمع الإنساني، ومن أجل ذلك فهم حريصون على أن يتمثلوا مبادئ الحق وأن يرتادوا سبل الخير والإصلاح، وهم بهذا كله جديرون بأن يمكن الله لهم في الأرض. وقد رسم القرآن صورة مشرقة لركائز التمكين في الأرض وهي تقوم على المبادئ الآتية:

أولاً: توثيق الصلة بالله- سبحانه وتعالى- بالقيام بأداء أوامره واجتناب نواهيه. الإعلان عن ذلك إنما يتمثل في القيام بالصلاة التي هي عنوان الطاعة لله- سبحانه تعالى- فالصلاة عماد الدين، من أقامها فقد أقام الدين ومن هدمها فقد هدم الدين وهي تكف صاحبها عن الفحشاء والمنكر، كما قال الله تعالى: {إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ} (العنكبوت: ٤٥)، وهي الصلة الوثيقة بين العبد وخالقه الكبير المتعال.

ثانيًا: ربط الصلة بالمجتمع ونشر وسائل التكافل الاجتماعي تأكيدًا وتنمية للعلاقات الإنسانية الفاضلة بين الإنسان وأخيه الإنسان، وعلى قمة هذه العلاقات أداء الزكاة.

ثالثًا: المهمة الكبرى التي تتطلب الغيرة من كل مسلم على دينه ودعوة الغير إلى الرشد والخير بالحكمة والموعظة الحسنة، والعمل على نشر فضائل الإسلام ومبادئه عن طريق الدعوة إلى الله أمرًا بالمعروف ونهيًا عن المنكر، قال الله تعالى: {الَّذِينَ إِنْ

مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ} (الحج: ٤١)، ثم عقّب الشيخ على الآية قائلاً: إن ركائز التمكين في الأرض تعني القيام بواجب الإنسان المسلم تجاه خالقه- سبحانه- وتجاه نفسه وتجاه المجتمع الذي يعيش فيه، كما يجب على كل مسلم أن يدرك أهمية الوقوف عند معالم الحق والخير بحيث لا يميل أو يحيد ولا يحيد يمنة أو يسرة والوقوف في مواجهة التيارات المادية الجارفة التي تشكلت بأشكال مختلفة وتسمت بأسماء متباينة متخذة بعض المذاهب الفاسدة مجرى لها، وبعض النظريات الوافدة مذهبًا وطريقًا، وفي هذا تضييع للقيم وحرب للإسلام.

ثم قال: ومن أهم ركائز التمكين في الأرض الأمر بالمعروف والنهي عن النكر، قال الله تعالى: **{كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ}** (آل عمران: ١١٠). ويقول رسول الله ﷺ: "من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان"[(١)]. ثم رد الشيخ على بعض الشبهات فقال: قد أثار أعداء الإسلام وخصومه بعض الشبهات محاولين بها اتهام الإسلام بأنه يعادي الناحية الروحية، وهي بدون شك شبهة واهية لا أساس لها من الصحة، فقد جاء التشريع الإسلامي وافيًا بحاجات البدن والروح، وبتنظيم الجانبين والاعتدال فيهما بلا إفراط أو تفريط، وقد وجه القرآن الكريم جميع المسلمين إلى مراعاة مطالب الدنيا والآخرة حتى في دعائهم، فقال سبحانه وتعالى: **{فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ (٢٠٠) وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (٢٠١) أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ}** (البقرة: ٢٠٠-٢٠٢).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، ج ١، صـ ٦٩، حـ ٤٩.

ونهى القرآن الكريم عن تحريم الطيبات حفاظًا على جانب الاعتدال بين المادة والروح كما حرم الاعتداء ومجاوزة الحد في ذلك، بل على الإنسان أن يأكل مما رزقه الله من الحلال الطيب على أساس من التقوى والإيمان وفي ضوئهما قال سبحانه وتعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٨٧) وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالاً طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ} (المائدة: ٨٧، ٨٨).

ويركز الإسلام على توجيهه للمسلمين محذرًا لهم أن تغرهم الحياة الدنيا بمادياتها وبمباهجها، وأن الأموال والأولاد فتنة وعند الله عظيم الأجر للمخلصين، قال سبحانه وتعالى: {وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجرٌ عَظِيمٌ} (الأنفال: ٢٨)، وقال أيضًا: {زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (١٤) قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ} (آل عمران: ١٤،١٥) وقد وضح الإسلام أهمية طلب الآخرة وضرورة العمل لها ؛ فمن كانت الآخرة همه، وعمل لها جمع الله له ما يريد، وجعل غنى النفس بالإيمان وتأتيه الدنيا منقادة راغمة. وأما الذي ينكّب على المادة يجمعها ويجعل الدنيا همه فإن الله يجعل الفقر بين عينيه ومهما واصل التعب والكد في سبيلها فإنه لا ينال منها إلا ما قدره الله- سبحانه وتعالى- عن زيد بن ثابت ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "من كانت الدنيا همه فرق الله عليه أمره وجعل فقره بين عينيه ولم يؤته في الدنيا إلا ما كُتب له، ومن كانت الآخرة

همه جمع الله أمره وجعل غناه في قلبه أتته الدنيا وهي راغمة"[1].

وحياة السلف حافلة بالإيثار والبذل والتضحية والمعروف حتى وإن ترتب على ذلك بذل كل ما يمتلكون.

نعم، لقد دعا الإسلام إلى التوسط كما سبق، قال الله تعالى: {**وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ**} (الإسراء: ٢٩).

ولكن سلفنا الصالح في نظرتهم الإيمانية الفاحصة يدركون قيمة ميراث الأبناء من بعد وخطورة المادة حين يقوى جانبها ويشتد وحين يمسك الأبناء بها وينحرفون بسببها.

فمن الناس من يورث أبناءه أموالاً طائلة وعقارات وفيرة ظنًّا منه أنه حين يفارق الحياة يفارقها وهو مطمئن عليهم من الفقر، ناسيًا الفقر من الإيمان وهو أشر المخاوف، ومن الناس من يورث أبناءه إيمانًا صادقًا وعملاً صالحًا وسلوكًا قويمًا ولم يترك لهم من المال شيئًا فإذا بثروة الإيمان والعمل الصالح تجعلهم أغنياء في الدنيا والآخرة.

ثم قال الشيخ: ها هو ذا نموذج من السلف الصالح إنه الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز ﷺ، لقد قال له مسلمة بن عبد الله عند مرض موته: يا عمر، لقد تركت أولئك لا شيء عندهم فيصبحون فقراء، وما كان هذا يصلح منك يا عمر، فرد عليه قائلا: والله ما منعتهم حقًّا هو لهم ، فبَنِيَّ أحد رجلين: إما رجل يتقي الله فيجعل الله له من كل ضيق مخرجًا ويرزقه من حيث لا يحتسب، وإما رجل منكب على المعاصي فإني لم أكن لأقويه على معصية الله.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند، جـ٣٥، صـ ٤٦٧، حـ٢١٥٩.

ثم قال الشيخ: إن الإسلام دعوة إلهية لسعادة البشر- دنيا وأخرى، وفي قوانينه الرشيدة أمان للنفس والمال والعرض، وفي ظل تعاليمه السمحة المضيئة تشرق حياة الناس بالخير والرشد والحق والسعادة.

ثم بين الشيخ في ختام الكتاب شمول وسطية الإسلام لشتى مناحي الحياة، فبين أن الإسلام وسط في علاقة الإنسان بربه، وسط في علاقة الإنسان بأخيه، وسط في علاقة الإنسان بزوجته، وسط في علاقة الإنسان بضيفه، ثم بين وسطية الإسلام في استقلال الشخصية الإسلامية بحيث لا تذوب شخصيته في الجماعة، وبحيث لا يكون انعزاليا، وبين أن الوسطية تقتضي العزة في غير تكبر؛ فالمسلم يتحلى بسمة العزة وهي وسط بين الذلة والتكبر، فلا يذل نفسه لأحد، ولا يتكبر على أحد ثم بين أن وسطية الإسلام تتجلى في المعاملات المالية، وفي إنفاق المال بصفة خاصة، فلا يسرف ولا يقتر، فالمسلم معتدل. ثم ذكر الشيخ بعض نماذج من سمات المجتمع الإسلامي الفاضل الذي وصلت به الوسطية إلى جانب المثالية. ونذكر نموذجًا منها.

الإنفاق في السراء والضراء:

ساق الشيخ هذا النموذج فبين فيه أن أولى سمات المتقين الذين يكونون المجتمع المثالي، أنهم ينفقون في حالي الرخاء والشدة، بين أن في ذلك مدعاة لترك الربا فلا يضطر فقير إلى مد يده لقرض ربوي.

فقال الشيخ: إن أولى سمات المتقين الذين يكونون المجتمع المثالي، الذين ينفقون في السراء والضراء- أي: في حالي الرخاء والشدة- و(السراء) من السرور، أي: في الحالة السارة التي يستشعر الإنسان فيها السعة واليسر، و(الضراء) من الضرر، أي: الحالة التي يشعر فيها الإنسان بالضيق والعسر، وروي عن ابن عباس- رضي الله عنهما- تفسيره باليسر والعسر، وهنا لفتة حكيمة؛ حيث بدأت صفات المتقين بالإنفاق وذلك لسببين:

أولاً: لمقابلته بالربا الذي نهي عنه في الآية السابقة فيقول الله تعالى: {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**} (آل عمران: ١٣٠). فإذا كان في الربا استغلال من الغني للفقير وانتهاز لحاجته وفاقته لأكل ماله بغير وجه حق فإن في الصدقة مساعدة للفقير وعونًا له، لا يبتغي من الفقير جزاء ولاشكورًا.

ثانيًا: للدعوة إلى الإنفاق في جميع الحالات في العسر واليسر، وفي هذا دلالة على صدق الإيمان، وبرهان على قوة اليقين، وهذا هو شأن المتقين؛ لا اليسر يجعلهم في بطر، ولا العسر يوقعهم في القنوط والضجر، فهم لا يقتصرون في تعاونهم على حالة الرخاء والنعمة بل في الحالين سواء. فلما كان الإنفاق أدل على التقوى وأعظم نفعًا للمجتمع الإنساني من سائر الأعمال الأخرى استهلت الآيات الكريمة موكب المتقين بفضيلة الإنفاق في السراء والضراء.

وواضح أن الإنفاق دليل صدق الإيمان، وأن الصدقة برهان على ما يكنه المسلم من صدق في عقيدته وعبادته، وكما جاء في الحديث الشريف.." والصدقة برهان"[(١)].

وأفضل أنواع الصدقة ما يقدمه الإنسان وهو صحيح شحيح أمامه الآمال في الدنيا، ومع هذا فهو يؤثر ما عند الله على ما في دنياه، عن أبي هريرة ﷺ قال: **جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ الصَّدَقَةِ أَعْظَمُ أَجْرًا؟ فَقَالَ: " أَمَا وَأَبِيكَ لَتُنَبَّأَنَّهُ أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ، تَخْشَى الْفَقْرَ، وَتَأْمُلُ الْبَقَاءَ، وَلَا تُمْهِلَ حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ الْحُلْقُومَ، قُلْتَ: لِفُلَانٍ كَذَا، وَلِفُلَانٍ كَذَا، وَقَدْ كَانَ لِفُلَانٍ**" [(٢)].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء، جـ١، صـ ٢٠٣، حـ ٢٢٣.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب بيان أن أفضل الصدقة صدقة الصحيح، جـ ٢، صـ ٧١، حـ ١٠٣٢.

وقد ورد في قول الإنفاق قول الله تعالى: {لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا} (النساء: ١١٤)، ووعد الله تعالى أن يخلف على من أنفق، ووعده حق لا يخلف الله الميعاد، قال سبحانه: {وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ} (سبأ: ٣٩).

بل إن ملكًا يدعو للمنفق بأن يخلف الله عليه، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ العِبَادُ فِيهِ، إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلاَنِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا"[1].

يقول رب العزة سبحانه: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٥) آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ (١٦) كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (١٨) وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ} (الذاريات: ١٥-١٩).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب قوله تعالى: (فمن اعطى واتقى)، ج٢، صـ ١١٥، حـ ١٤٤٢.